غير مرخصة للطباعة

المحور الثالث

الفقه وأصوله

(فقه الأسرة والمجتمع)

٣٧

حقوق الشيوخ والمسنِّين في ضوء الشريعة الإسلامية

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

من الدستور الإلهي للبشرية

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [غافر: ٦٧].

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ﴾ [الروم: ٥٤].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

٥

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قال: تعوَّذوا بكلماتٍ كان النبيُّ ﷺ يتعوَّذ بهنَّ: «**اللهمَّ إني أعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أُرَدَّ إلى أرذلِ العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**». رواه البخاري.

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، أن النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ من إجلال الله تعالى: إكرامَ ذي الشَّيْبة المسلم، وحاملِ القرآنِ غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطانِ المُقْسط**». رواه أبو داود.

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

غير مرخصة للطباعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتَّبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

(أما بعد)

فهذه محاضرة عن حقوق الشيوخ والمسنِّين في ضوء تشريعات الإسلام وتوجيهاته الربانية، ألقيتها في «الكويت»، بطلب من «المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية»، افتتحت بها ندوتها حول هذا الموضوع نفسه، الذي يحتاج الناس فيه إلى أن يعرفوا موقف الإسلام الصحيح، ليسيروا على هديه، ويهتدوا بنهجه القويم، ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [آل عمران: ١٠١].

وقد نشرتها المنظمة جزاها الله خيرًا منفردة، وضمن مجموعة أعمال المؤتمر.

وقد رأيت أن أنشرها ضمن سلسلة محاضراتي، لتعميم النفع بها، عسى أن يكون فيها تبصرة وتذكرة، ورحم الله امرأ أهدى إلى أخيه كلمة طيبة، تدله على هدى، أو ترده عن ردى.

﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

القاهرة في ربيع الآخر ١٤٢٣هـ

يونيو ٢٠٠٣م

يوسف القرضاوي

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الشيخوخة مرحلة طبيعية:

الشـــيخوخة مرحلة طبيعية من مراحل العمر الإنســـاني الأربع: الطفولة، ثم الشباب، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة. وكما أنَّ كل شيء في هذا العالـــم يتغير بمؤثرات شـــتَّى. وكما تؤثر عوامـــل التحاتّ والتعرية في الطبيعة المادية، يؤثر مضي الســـنين وأحداث الزمن في الإنسان، فيشيخ الشاب، ويضعف القوي، ويمرض الصحيح. كما قال الشاعر العربي قديمًا[١]:

أشـــابَ الصغيرَ وأفنى الكبيرَ كـــرُّ الغـــداةِ ومـــرُّ العشـــي

وقال الآخر[٢]:

طول الليالي أسرعت في نقضي نقضن كلي، ونقضن بعضي

والوصول إلى الشيخوخة أمر حتمي ـ وفق سنة الله ـ إذا قدر للإنسان أن يسلم من الموت في طفولته وفي شـــبابه وفي كهولته. كما أشار إلى

(١) من شـــعر الصّلتان العبـــديّ، كما في الكامل فـــي اللغـــة والأدب (١٣٥/٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشـــر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، والعقد الفريد (١٣٧/٣، ١٣٨)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) هو العجاج كما في الكتاب لسيبويه (٥٣/١)، تحقيق عبد السلام محمد هارون، نشر مكتبة الخانجـــي، القاهـــرة، ط ٣، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م. وقيل: الأغلب العجلي، انظر: شـــرح أبيات سيبويه، لأبي محمد السيرافي، تحقيق الدكتور محمد علي الريح هاشم، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م.

QaradawiBooks.com

ذلك القرآن حين قال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُواْ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓاْ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧].

فأشارت الآية الكريمة إلى المرحلة الجنينية «النطفة والعلقة» ثم مرحلة الطفولة، ثم مرحلة بلوغ الأشدّ «وتشمل الشباب والكهولة» ثم مرحلة الشيخوخة.

الردُّ إلى أرذل العمر:

وأشار القرآن الكريم في آيتين أُخريين إلى مرحلة من الشيخوخة المتأخرة عبَّر عنها بـ «أرذل العمر» كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [النحل: ٧٠].

وكذلك جاء في سورة الحج: ﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج: ٥].

وأرذل العمر هو أردؤه، وهو الذي يصيب المرء فيه الوهن في العظم، والضعف العام في البدن، وخصوصًا حواس السمع والبصر، والضعف في الذاكرة، والخرف في العقل، حتى يعود إلى حالة أشبه بحالة الطفولية، ويصبح كلًّا على غيره. حتى إنَّ رجليه لم تعودا تقويان على حمله، كما قال القائل[1]:

وكنت أمشي على رجلين معتدلًا فصرت أمشي على أخرى من الشجر!

(١) أبو حية النميري. انظر: الحيوان للجاحظ (٥٧٩/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

QaradawiBooks.com

وقال ابن عباس في تفسير أرذل العمر: يعني: أسفل العمر، يصير كالصبي الذي لا عقل له[١].

وهذا ما جعل النبي ﷺ يستعيذ بالله من أن يردَّ إلى أرذل العمر. كما روى عنه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: تعوذوا بكلماتٍ كان النبي ﷺ يتعوذ بهن: «**اللهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من أن أُردَّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا، وعذاب القبر**»[٢].

وقد روى البخاري من حديث عائشة وأنس أنَّه ﷺ كان يستعيذ بالله تعالى ـ فيما يستعيذ به ـ من «الهرم» أي الشيخوخة مطلقًا، وهو محمول على أنَّ المراد به: أرذل العمر، كما أشار إلى ذلك البخاري في أحد تراجمه[٣].

ولكن ما أرذل العمر؟ وأي سن يعتبر أرذل العمر؟

العرب في أشعارهم كانوا يشيرون إلى سن الثمانين، كقول «زُهير بن أبي سُلمى» في معلقته الشهيرة:

سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومنْ يَعِشْ ثمانينَ حولًا لا أبا لكَ يَسْأَمِ[٤]

وقال الآخر يشكو من ضعف سمعه:

إنَّ الثمانين ـ وبُلِّغتها قد أحوجتْ سمعي إلى ترجمانِ[٥]

(١) تفسير القرطبي (١٤٠/١٠)، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

(٢) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٧٤)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) وهو (باب التعوذ من أرذل العمر) (٤١) في كتاب الدعوات، وفيه حديث أنس (٦٣٧١)، وحديث عائشة (٦٣٧٥).

(٤) انظر: ديوانه صـ ١١٠، شرح علي حسن فاعور، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

(٥) من شعر عوف بن محلِّم الخزاعي، كما في طبقات الشعراء لابن المعتز صـ١٨٧، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، نشر دار المعارف، القاهرة، ط٣.

QaradawiBooks.com

والواقع أنَّ أرذل العمر يختلف باختلاف الناس من حيث بنيتهم البدنية، ونشأتهم، وطعامهم وشرابهم ونوع عملهم وسلوكهم، وممارستهم للرياضات المختلفة.

ومهما يكن، فإنَّ طول العمر الزائد يكوّن «مشكلة» على الفرد نفسه، وعلى أسرته، وعلى المجتمع ككلّ، وهذا ما يشكو منه الأوروبيون والأمريكيون اليوم: ازدياد أعداد المسنِّين والمسنات بنسبة كبيرة، بازدياد الوعي الصحي، والتقدم الطبي، وتوفير الرعاية، وتطلع الأفراد إلى المزيد من طول الحياة، حتى إنَّهم ليبحثون عن الأدوية التي تقاوم الشيخوخة، ولا يعلمون أنَّ في ذلك ـ لو نجحوا فيه ـ خطرًا على الأجيال الصاعدة والواعدة.

ولذا يكون من المهم أن يدعو الإنسان ربه: ألا يرد إلى أرذل العمر، حتى لا يحتاج إلى الآخرين، ويمسي حملًا ثقيلًا عليهم، يتمنون موته والتخفف منه.

الشيخوخة مرحلة ضعف كالطفل:

الشيخوخة مرحلة ضعف للإنسان، كما أنَّ الطفولة كذلك، وقد أشار إلى ذلك القرآن الكريم حين قال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

وقد عبَّر عن هذا الضعف نبي الله زكريا: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم: ٣، ٤].

QaradawiBooks.com

وقد ذكر القرآن الشيخوخة في مناسباتٍ شتَّى. وخصوصًا مع رسل الله الكرام، كما في قصة إبراهيم، الذي ذكر الله تعالى على لسانه: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

وقد بيَّن لنا القرآن الكريم شيئًا من قصة البشارة بميلاد إسحاق، حين بشرت الملائكة امرأته به: ﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢، ٧٣].

رعاية الإسلام للشيخوخة:

والناظر في تعاليم الإسلام وأحكام شريعته، يجد أنَّه قد راعى «الشيخوخة» وكبر السن من الناحية المادية، ومن الناحية المعنوية.

الكفاية المادية:

فمن الناحية المادية يجب أن يوفر للكبير ما يحتاج إليه، إلى حدِّ تمام الكفاية من المأكل والمشرب والملبس والمسكن والعلاج، وإذا كان يحتاج إلى من يخدمه، فالواجب توفير ذلك له، إما عن طريق الزواج إن كان قادرًا عليه، وتائقًا إليه، أو عن طريق الأجرة.

والواجب أن يتوافر له ذلك عن طريق أبنائه إذا لم يكن عنده مورد يكفيه، لأنَّ هذا من حق الأبوين على الأبناء، وهو من الإحسان بالوالدين ومن البر الذي أمر الله تعالى ورسوله ﷺ به. ومن هنا أوجبت الشريعة نفقة الوالدين المحتاجَيْن على أبنائهما، كما ينفق على نفسه وزوجه وأولاده.

QaradawiBooks.com

ولهذا اتفق الفقهاء على أنَّ الأب لا يأخذ من زكاة ابنه عند حاجته؛ لأنَّ نفقته واجبة عليه، كما تجب عليه نفقة زوجه وأولاده، فهو حين يعطيه الزكاة كأنَّما يعطها لنفسه.

وذكر القرآن قصة ذلك الشيخ الكبير في مَدْيَن الذي صاهره موسى وذلك حين ورد ماء مدين ووجد عليه أمة من الناس يسقون: ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ﴾ [القصص: ٢٣]، معنى هذا أنَّ من حق الكبير أن يسعى أولاده ويكدحوا ـ وإن كانوا بنات ـ حتى يكفوه أمره، ويوفروا له حاجته، وهذا من موجبات عمل المرأة: حاجة الأسرة.

وجاءت السنة النبوية، فأجازت للأب أن يأخذ من مال ابنه ما يحتاج إليه، ففي الحديث الذي رواه ابن حبان في «صحيحه» عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رجلًا أتى النبي ﷺ يخاصم أباه في دين عليه، فقال النبي ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**»(١).

ورواه أبو داود في «سننه» عن عبد الله بن عمرو أنَّ رجلًا أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ لي مالًا ووالدًا، وإنَّ والدي يجتاح مالي: قال: «**أنت ومالك لوالدك**»(٢).

قال الإمام الخطّابي في «معالم السنن»: قوله: «يجتاح مالي» معناه: يستأصله ويأتي عليه، والعرب تقول: جاحهم الزمان، واجتاحهم إذا أتى على أموالهم، ومنه الجائحة وهي: الآفة التي تصيب المال فتهلكه.

(١) رواه أحمد (٦٩٠٢)، وقال مخرِّجوه: حسن لغيره. وأبو داود في البيوع (٣٥٣٠)، وابن ماجه في التجارات (٢٢٩٢)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (١٨٥٦)، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٦٦٧٨)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الإجارة (٣٥٣٠).

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ويشبه أن يكون ما ذكره السائل من اجتياح والده ماله، إنَّما هو بسبب النفقة عليه، وأنَّ مقدار ما يحتاج إليه للنفقة عليه شيء كثير، لا يسعه عفو ماله والفضل منه، إلا بأن يجتاح أصله، ويأتي عليه، فلم يعذره النَّبي ﷺ ولم يرخص له في ترك النفقة عليه، وقال له: «**أنت ومالك لوالدك**»، على معنى أنَّه إذا احتاج إلى مالك أخذ منك قدر الحاجة، كما يأخذ من مال نفسه، وإذا لم يكن لك مال وكان لك كسب لزمك أن تكتسب وتنفق عليه، فأمَّا أن يكون أراد به إباحة ماله، وخلاه واعتراضه حتى يجتاحه ويأتي عليه، لا على هذا الوجه، فلا أعلم أحدًا ذهب إليه من الفقهاء، والله أعلم[١].

وعلَّق أبو حاتم ابن حبان على الحديث الذي رواه عن عائشة «**أنت ومالك لأبيك**» فقال: معناه أنَّه ﷺ زجر «الابن» عن معاملته أباه بما يعامل به الأجنبيين، وأمره ببره، والرفق به في القول والفعل معًا، إلى أن يصل إليه ماله، فقال له: «**أنت ومالك لأبيك**».

لا أنَّ مال الابن يملكه الأب في حياته، من غير طيب نفس من الابن به[٢] انتهى.

واجب المجتمع في الرعاية المادية:

وإذا لم يكن الابن ولا أحد من ورثته قادرًا على النفقة عليه، فإنَّ نفقته واجبة على المجتمع من حوله، فإنَّ أهل الحي أو أهل القرية أو العرصة متكافلون، يحمل قويهم ضعيفهم، ويساعد غنيهم فقيرهم حتى

(١) معالم السنن للخطابي (١٦٥/٣، ١٦٦)، نشر المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١هـ ـ ١٩٣٢م.
(٢) صحيح ابن حبان (٤١٠).

QaradawiBooks.com

لا تبرأ منهم ذمة الله وذمة رسوله، وفي الحديث: «**ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه**»[١].

فإذا لم يكن في المجتمع سعة لمثل ذلك، فالواجب على الدولة أن تهيئ لهذا الشيخ وأمثاله من ذوي الحاجات: ما يكفيه بالمعروف ويغنيه عن السؤال. وقد قال ﷺ: «**كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع، وهو مسؤول عن رعيته**»[٢]، وقال «**أنا أولى بكل مسلم عن نفسه من ترك مالًا فلورثته، ومن ترك دينًا أو ضُيَّاعًا فإليّ وعليّ**»[٣].

والضيَّاع: الضائعون، لفقرهم وعدم وجود ما يكفيهم، ولعجزهم عن السعي على أنفسهم، نتيجة الصغر كالأطفال، أو الكبر كالشيوخ والمسنِّين.

وهذا ليس للمسلمين فحسب، بل هو لكل من يعيش في ظل المجتمع الإسلامي، مسلمًا كان أو غير مسلم.

وقد ذكر الإمام أبو يوسف في كتابه «الخراج»، نص الوثيقة التي صالح عليها خالد بن الوليد رضي الله عنه نصارى الحيرة بالعراق وهي تقول:

«وجعلتُ لهم: أيَّما شيخ ضعُف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه: طرحت

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد (١١٢)، وأبو يعلى (٢٦٩٩)، والطبراني (١٥٤/١٢)، والحاكم في البر والصلة (١٦٧/٤)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩)، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الاستقراض (٢٤٠٩)، ومسلم في الإمارة (١٨٢٩)، عن ابن عمر.

(٣) رواه مسلم في الجمعة (٨٦٧)، وأحمد (١٤١٥٩)، عن جابر بن عبد الله.

QaradawiBooks.com

جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله، ما أقام بدار الهجرة ودار الإسلام»[١]

وقد كُتبت هذه الوثيقة في عهد أبي بكر رضي الله عنه وأقرَّها، كما أقرها من كان مع خالد من الصحابة رضي الله عنهم ولم يعترض عليها أحد، ومثل هذا يعد إجماعًا.

وفي عهد عمر رأى شيخًا يهوديًا يسأل الناس، فأنكر ذلك عمر، وعرف حاجته، فقال: «ما أنصفناك إذا أخذنا منك الجزية شابًا وأهملناك شيخًا!» ثم أمر خازن بيت المال أن يصرف له، ولأمثاله من بيت مال المسلمين ما يكفيه[٢].

وهذا ما سار عليه خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز فقد كتب إلى عدي بن أرطأة واليه على «البصرة» برسالةٍ جاء فيها: «وانظر من قبلك من أهل الذمة قد كبرت سنه، وضعفت قوته، وولَّت عنه المكاسب، فَأَجْرِ عليه من بيت مال المسلمين ما يصلحه «واستشهد لذلك بواقعة عمر مع اليهودي»[٣].

توقير الكبير:

ومن القيم الإسلامية التي نوَّهت بها السنة النبوية، وكثرت فيها الأحاديث الشريفة: توقير الكبير وإجلاله والعرفان بحقه وشرفه، كالرحمة بالصغير والرفق به أيضًا.

(١) الخراج صـ ١٥٧ ـ ١٥٨، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.

(٢) الخراج صـ ١٣٩.

(٣) رواه أبو عبيد في الأموال (١١٩)، تحقيق محمد خليل هراس، نشر دار الفكر، بيروت.

QaradawiBooks.com

منهـــا حديث عبد الله بـــن عمرو مرفوعًـــا: «**ليس منا مـــن لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا**»[(١)].

وحديث عبادة بن الصامت: «**ليس منا من لـــم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه**»[(٢)]. وهنا أيضًا حديث أنس[(٣)] وابن عباس[(٤)] وغيرهما. وأول ما يتبادر إلـــى الذهن في معنى الكبيـــر: أنَّه الكبير في الســـن، وإن كان يشـــمل أيضًا الكبير في القدر والمقام. فإنَّ كبر الســـن يعطي الإنسان قدرًا وشـــرفًا باعتبار ما اكتســـبه من تجربة السنين. وقد توارث العـــرب والأكراد والأتـــراك وغيرهم من الأمم احترام الشـــيوخ وإجلالهم، بمقتضى الفطرة البشـــرية، وأكدت ذلك تعاليم الدين، حتى قال بعض النَّاس: «الشيخ في قومه كالنبي في أمته» ورفعه بعضهم على أنَّه حديث وليس بحديث.

ومن توقير الكبير: التوســـعة له فـــي المجلس، والقيـــام له ليجلس مكانه، وإيثاره بالنوبة أو بموقعه في الصف أو بتقديمه على غيره مراعاة لضعفه، ونحو ذلك.

---

(١) رواه أحمد (٦٧٣٣)، وقال مخرّجوه: حديث صحيح. وأبو داود في الأدب (٤٩٤٣)، والترمذي في البر والصلة (١٩٢٠)، وقال: حسن صحيح. عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمـــد (٢٢٧٥٥)، وقال مخرجوه: صحيح لغيـــره دون قوله: «ويعـــرف لعالمنا حقه». والطحاوي في مشـــكل الآثار (٣٦٥/٣)، والحاكم في العلم (١٢٣/١)، وقال: ومالك بن خير الزيادي مصري ثقة، وأبو قبيل تابعي كبير، وقال الذهبي: مالك ثقة مصري. وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (٦٤/١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٤٣)، عن عبادة بن الصامت.

(٣) رواه الترمذي في البر والصلة (١٩١٩)، وقال: هذا حديث غريب وزربي ـ ابن عبد الله الأزدي ـ له أحاديث مناكير. وأبو يعلى (٣٤٧٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢١٩٦).

(٤) رواه أحمد (٢٣٢٩)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والترمذي في البر والصلة (١٩٢١)، وقال: حسن صحيح. وابن حبان في البر والإحسان (٤٥٨).

QaradawiBooks.com

ولا سيما إذا كان هذا الشـيخ من أهل الخير والصلاح، كما جاء في الحديث أنَّ رجلًا قال: يا رسول الله، أي النَّاس خير؟ قال: «**من طال عمره، وحسن عمله**» قال: فأي الناس شر؟ قال: «**من طال عمره، وساء عمله**»[١].

وقد جاء في هذا المعنى أكثر من حديث[٢].

وقد روى أبو داود عن أبي موسى أنَّ النبي ﷺ قال: «**إنَّ من إجلال الله تعالى: إكرام ذي الشيبة المسـلم، وحامل القرآن غير الغالي فيه، والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط**»[٣].

وروى الترمذي عن أنس أنَّ النبي ﷺ قال: «**ما أكرم شـاب شـيخًا لسنه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه**»[٤].

وقد حسَّـن بعض العلماء هذا الحديث[٥] وضعفه آخـرون، ولكنَّه موافق لسـنة الله تعالى في الجـزاء، فمن المعلـوم أنَّ الجزاء من جنس العمل، وأنَّ البر والعقوق سـلف، فمن برَّ أباه برَّه أبناؤه، ومن عقَّ أباه

(١) رواه أحمد (٢٠٤١٥)، وقال مخرِّجوه: حديث حسن. والترمذي (٢٣٣٠)، وقال: حسن صحيح. وابن أبي شيبة (٣٥٥٦٥)، كلاهما في الزهد، والحاكم في الجنائز (٣٣٩/١)، وصححه على شرط مسلم، عن أبي بكرة.

(٢) مثل حديـث أبي هريرة الذي رواه أحمـد (٧٢١٢)، وقال مخرجوه: صحيـح لغيره. وانظر: المنتقى من الترغيب والترهيب، كتاب التوبة، باب الترغيب في ذكر الموت وقصر الأمل، (٤٠٦/٢ ـ ٤١٣)، نشر المكتب الإسلامي، دمشق، ط ٣، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٣) رواه أبو داود في الأدب (٤٨٤٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٧٤)، عن أبي موسى. والمقسط: العادل.

(٤) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٢٢)، وقال: حديث غريب. والطبراني في الأوسط (٥٩٠٣)، والبيهقي في الشعب (١٠٤٨٥)، وضعفه الألباني في الجامع الصغير (١١٧٩٧).

(٥) ذكره المناوي في فيض القدير: أن الترمذي حسَّـنه ـ ولعله في نسخة أخرى، فقد رأينا أنَّه اسـتغربه ـ وتبعه السيوطي في الجامع فرمز لحسـنه، ولا يوافق عليه. وذكر أن فيه راويين ضعيفين. فيض القدير (٤٢٥/٥)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

QaradawiBooks.com

عقَّه أبناؤه، وكذلك من أكرم الشيوخ في شبابه، هيَّأ الله من الشباب من يكرمه في شيخوخته.

يؤكد هذا الحديث الآخر: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**»[١].

ويحكى أنَّ بعض الشباب تغامزوا على بعض الشيوخ، فأنشأ الشيخ يقول:

يا عائبًا للشيوخ من أَشَرٍّ ... داخله الصبا ومن بَذَخِ
اذكرْ إذا شئتَ أن تعيبهمو ... جَدَّكَ واذكرْ أباك يا ابنَ أخِي
واعلم بأن الشبابَ مُنْسَلِخٌ ... عنك وما وِزْرُه بمنسلخِ
من لا يُعِزَّ الشيوخَ لا بَلَغَتْ ... يومًا به سِنُّه إلى الشَّيْخِ[٢]

من أحكام الشيخوخة:

ومن أحكام الشيخوخة التي جاء بها الإسلام: أنَّه نهى عن قتل الشيوخ في الحرب، كما نهى عن قتل النساء والأطفال؛ لأنَّهم لا يشاركون في الحرب، وقد أنكر النبي ﷺ على أصحابه حين وجد امرأة مقتولة في إحدى الغزوات، فقال: «**ما كانت هذه لتقاتل!**»[٣].

فلو كان الشيخ يقاتل أو كان يشارك في الحرب برأيه وتدبيره جاز قتله، فإنَّ الرأي في الحرب قد يكون أشد من السيف والرمح.

---

(١) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٧١٢)، والبيهقي في قتال أهل البغي (١٦٨/٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٩)، عن ابن عمر.

(٢) ذكره المناوي ونسبه للسرقسطي العربي في فيض القدير (٤٢٥/٥)، نشر المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

(٣) رواه أحمد (١٥٩٩٢)، وقال مخرِّجوه: صحيح لغيره. وأبو داود في الجهاد (٢٦٦٩)، عن رباح بن ربيع.

QaradawiBooks.com

ومن أحكام الشيخوخة أنَّ الشيوخ يعفون من الهجرة من البلاد التي يضطهدون فيها، ما داموا لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلًا، شأنهم ككل المستضعفين كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ۝ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٧ ـ ٩٩].

بل نجد القرآن يستحث الأمة على القتال وشن الحرب لاستنقاذ المستضعفين من الظلم والاضطهاد، وفي مقدمتهم الشيوخ، يقول تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

من شاب في الإسلام:

ولقد نوَّه النبي ﷺ بمن شاب في الإسلام، بمعنى أنَّه أنفق شبابه وكهولته في الإسلام أو في سبيل الله، حتى أدركه الشيب، فقال عليه الصلاة والسلام، فيما رواه عنه كعب بن مرة: «**من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة**»[(١)].

وروى عنه عمرو بن عبسة: قال ﷺ: «**من شاب شيبة في سبيل الله كانت له نورًا يوم القيامة**»[(٢)].

(١) رواه أحمد (١٨٠٦٤)، وقال مخرجوه: صحيح لغيره. والترمذي (١٦٣٤)، والنسائي (٣١٤٤)، كلاهما في الجهاد، عن كعب بن مرة.

(٢) رواه أحمد (١٧٠٢٢)، وقال مخرجوه: صحيح على شرط مسلم. والترمذي (١٦٣٥). والنسائي (٣١٤٢)، كلاهما في الجهاد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٠٨)، عن عمرو بن عبسة.

QaradawiBooks.com

فهذا الحديث خاصٌّ بمن شاب في سبيل الله أي في الجهاد، والحديث قبله عام لكل من شاب في الإسلام.

غير مرخصة للطباعة

شرعية خضاب الشيب:

وقد شرع النبي ﷺ لأهل الشيب أن يغيروا شيبهم بالخضاب، وخصوصًا بغير السواد، وقال: «**إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون** ـ يعني الشيب ـ **فخالفوهم**»[(١)].

وفي حديث آخر «**غيِّروا الشيب، ولا تَشَبَّهوا باليهود والنصارى**»[(٢)].

وقال: «**إنَّ أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناء والكتم**»[(٣)]. والكتم: نبت فيه حمرة إذا خلط بالحناء كان أقرب إلى السواد.

وعن أنس بن مالك قال: جاء أبو بكر بأبي قحافة والده إلى رسول الله ﷺ يوم فتح مكة، فقال رسول الله ﷺ لأبي بكر: «**لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر**»، قال: فأسلم، ورأسه ولحيته كالثغامة بيضاء، فقال رسول الله ﷺ: «**غيروهما** ـ أي رأسه ولحيته ـ **واجتنبوا السواد**»[(٤)]. والثغامة: نبت أبيض الزهر والثمر، شبه الشيب به لشدة بياضه.

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٦٢)، ومسلم في اللباس والزينة (٢١٠٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٧٥٤٥)، وقال مخرِّجوه: صحيح. والترمذي في اللباس (١٧٥٢)، وقال: حسن صحيح. عن أبي هريرة.

(٣) رواه أحمد (٢١٣٠٧)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الترجل (٤٢٠٥)، والترمذي في اللباس (١٧٥٣)، وقال: حسن صحيح. والنسائي في الزينة (٥٠٧٨)، عن أبي ذر.

(٤) رواه أحمد (١٢٦٣٥)، وقال مخرجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وابن حبان في الزينة (٥٤٧٢)، والحاكم في معرفة الصحابة (٢٨٦/١٢)، وصححه على شرط الشيخين، وقال الذهبي: على شرط البخاري. وقال الهيثمي في المجمع (٨٧٨٠): رواه أحمد، وأبو يعلى بنحوه، والبزار باختصار، وفي الصحيح طرف منه ورجال أحمد رجال الصحيح.

QaradawiBooks.com

حق الشيخ على أسرته:

وإذا كان للشيوخ على مجتمعهم حقوق مؤكدة، فإنَّ لهم على أسرهم حقوقًا أوثق وأوكد، وخصوصًا حقوق الآباء والأمهات على الأولاد.

فقد أوصى الإسلام وبالغ في الوصية بالوالدين، واعتبر ذلك من أصول الفضائل التي اشتركت فيها كل الأديان، واتفق عليها أهل الرسالات الإلهية. حتى اعتبر القرآن حق الوالدين بعد حق الله تعالى مباشرة، وهو يذكر الإحسان بالوالدين عقب الأمر بالتوحيد، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [النساء: ٣٦].

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾ [الإسراء: ٢٣].

﴿ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤].

وأكد القرآن حق الوالدين إذا بلغا الكبر ووصلا إلى الشيخوخة، وهنا شدَّد في الوصية، وأبلغ في التحذير ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ۝ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ﴾ فهما في هذه الحالة أصبحا «عند أولادهما» لا عند أنفسهما، كأنَّما أصبحا وديعة أو أمانة عند الأولاد. وفي هذه الحالة تكون حساسية الأبوين بالغة الحدة، لشعور كل منهما بأنَّ الأولاد لم يعودوا في حاجةٍ إليهما، وإنَّما ربما صاروا عبئًا عليهم، ولا سيما إذا كان للأولاد زوجات، قد يضقن بالآباء والأمهات.

QaradawiBooks.com

وهذه الحالة النفسية تجعل الأب أو الأم في غاية الحساسية المفرطة، يتأثر بأدنى كلمة، قد تجرح شعوره أو بالتصرفات، التي قد لا يلقي الابن أو الابنة لها بالًا.

ومن أجل ذلك جاء قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جاء عن علي رضي الله عنه قوله: «لو علم في العقوق شيئًا أدنى من «أف» لحرَّمه!».

وكلمة «أف» تعبير عن التبرم والتضجر. أما السب أو الشتم ونحوه، فهو من أكبر الكبائر في الإسلام. ففي الحديث المتفق عليه: «**إنَّ من أكبر الكبائر أنْ يسبَّ الرجل والديه**»، قالوا: وكيف يسب الرجل والديه يا رسول الله؟ قال: «**يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه فيسب أمه**»[(١)].

فهو لم يواجههما بالسبِّ واللعن، ولكن تسبب في لعنهما وسبهما، حين سبَّ آباء الآخرين وأمهاتهم، فردوا على سبه بمثله، فما بالك بمن يواجه أباه أو أمه بالسب؟!

ويعتبر الإسلام وجود الأب أو الأم في حالة الكبر عند الابن فرصة لاكتساب المغفرة ودخول الجنة، ورضوان الله تعالى. فمن ضيع هذه الفرصة على نفسه فقد فاته خير كثير.

يقول الرسول ﷺ: «**رغم أنفه، ثم رغم أنفه**» قيل: من يا رسول الله؟ قال: «**من أدرك والديه عند الكبر: أحدهما أو كليهما، ثم لم يدخل الجنة**»[(٢)].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٣)، ومسلم في الإيمان (٩٠)، عن عبد الله بن عمرو.
(٢) رواه مسلم في البر والصلة (٢٥٥١)، وأحمد (٧٤٥١)، عن أبي هريرة.

QaradawiBooks.com

قال الإمام القرطبي في «تفسيره» للآية الكريمة ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾: «خصَّ حالة الكبر؛ لأنَّها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر، فألزم في هذه الحالة من مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنَّهما في هذه الحالة قد صارا كلًّا عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يليا منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وأيضًا فطول المكث للمرء يوجب الاستثقال للمرء عادة، ويحصل الملل، ويكثر الضجر، فيظهر غضبه على أبويه، وتنتفخ لهما أوداجه، ويستطيل عليهما بدالَّة البنوة، وقلَّة الديانة، وأقل المكروه ما يظهره بتنفسه المتردد من الضجر، وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾» انتهى[1].

والمتأمل في النص القرآني هنا، يجده قد اشتمل على نهيين وثلاثة أوامر:

أما النهيان فهما قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾.

وأمَّا الأوامر فتتضمن:

١ ـ القول الكريم لهما ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾، وهو القول اللين اللطيف، الذي يتضمن الإجلال والتوقير والرحمة والحب، مثل: يا أبتاه، يا أماه، كما قال إبراهيم لأبيه رغم كفره وشركه: ﴿يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٤٢]، وكرر هذه الكلمة عدة مرات ﴿يَـٰٓأَبَتِ﴾.

(١) تفسير القرطبي (٢٤١/١٠).

QaradawiBooks.com

٢ ـ والثاني خفض جناح الذل من الرحمة ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ وقد جاء في القرآن خطاب للنبي ﷺ في معاملة المؤمنين كافة فقال: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٥]، وهنا لم يكتف بالأمر بخفض الجناح، بل ﴿جَنَاحَ ٱلذُّلِّ﴾ وهذا الخفض ليس من ضعة ولا هوان، ولكن من الرحمة.

ونحن نجد القرآن الكريم لم يمدح الذل إلا في موضعين: ذل الإنسان لأبوية الكبيرين، وذله على إخوانه المؤمنين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٤]، والمراد بالكافرين هنا المحاربون، المناوئون للإسلام بدليل ذكر الجهاد، وبدليل سياق الآية نفسها في مقاومة المرتدين.

٣ ـ والثالث: الدعاء لهما بالرحمة ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ فهذا الدعاء من الابن مكافأة أدبية، مقابل التربية في الصغر، أن يدعو الله لهما بالرحمة في الكبر.

بر الوالدين ولو كانا مشركين:

ومن روائع ما جاء به الإسلام: أنَّه أمر ببر الوالدين، وحرص عليه، وزجر عن العقوق والجفاء، ولو كان الوالدان مشركين، بل لو كانا مُصرَّين على الشرك، مستميتين في فتنة ولدهما عن الإسلام، بكل ما يستطيعان من قوة وحيلة وتأثير، حتى عبر القرآن عن هذه المحاولة بالجهاد على الشرك. وهو ما عبرت عنه سورة لقمان في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ۝ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ

QaradawiBooks.com

بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴾ [لقمان: ١٤، ١٥].

فنهى عن طاعتهما في قبول الشـرك، وأمر بمصاحبتهما بالمعروف. وهذه قمة في أدب البنوة مع الأبوة والأمومة، وإن اختلف الدين.

وروى الشيخان عن أسماء بنت أبي بكر أنَّها قالت للنبي ﷺ: إنَّ أمي جاءتني وهي مشركة، وهي راغبة «أي في صلتها» أفأصل أمي؟ قال: «**نعم صلي أمك**»(١).

ولهذا تميز مجتمعنا المسلم عن مجتمع الحضارة الغربية المعاصرة بهذا البر الفريد للآباء والأمهات، على خلاف المجتمع الغربي الحديث، الذي لا يكاد يرى فيه الابن والبنت أبويهما بعد البلوغ، إلا بالمصادفة، وقد تمر سنوات ولا يرى بعضهم الآخر.

وقد يعيش بعضهم في حالة الكبر في بيته، لا يزوره أحد، ولا يسأل عنه أحد، ولا يهتم به أحد لذا كانت الشـيخوخة هناك موحشـة أشد الإيحاش، وإن توافرت لصاحبها الحاجات المادية، ولهذا حرص الناس هناك علـى اقتناء الكلاب، لتعوضهـم عن أبنائهـم وبناتهم الذين لم يعودوا يرونهم أو يسمعون صوتهم، فلا غرو أن احتاجوا إلى تخصيص يوم للأم أو للأب، يسمى عيد الأم أو عيد الأب. والمفروض أن تكون كل أيامهم أعيادًا.

وقد حدثني بعـض الإخوة في أمريكا أنَّ امرأة ماتت في شـقتها، ولم يعلم أحد بموتها، إلا أنَّ جيرانها شـموا رائحة كريهة تنبعث من

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٣)، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الداخل، فأبلغوا الشرطة، ففتحوا المنزل، ووجدوا المرأة قد ماتت منذ عدة أيام، وأنَّ جثتها أصبحت رمة متعفنة، ثم عرفوا أنَّ لها أبناء وبنات وأحفادًا في مناصب جيدة، ولكنَّها لم تَرَ منهم أحدًا، ولعلها احتاجت إلى شربة ماء فلم تجد من يقدمها لها، أو احتاجت إلى إسعاف فلم تجد من يسعفها.

وربما كان بعض النَّاس أحسن حظًّا من هذه العجوز، فانتقل إلى دار العجزة والمسنِّين، ليقضي أيامه الأخيرة فيها مع مثله. ولكنَّ عاطفة الأمومة والأبوة لا يشبعها الطعام والشراب الذي يجدهما المسن في تلك الدار، فإنَّ الشوق إلى فلذات الأكباد من الأولاد والأحفاد لا يطفئه شيء إلا اللقاء والأنس، والابتهاج المشترك بالحياة. كما أنَّ من حق الأطفال والأجيال الناشئة، أن يعايشوا أجدادهم، ويأنسوا بهم، ويستمعوا لحكاياتهم، ويستفيدوا من تجاربهم، وإلا تنقطع الصلة بين الجيلين. ولهذا سمَّى القرآن الجد أبًا، كما في قول يوسف عليه السلام: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨]. وإبراهيم وإسحق جدَّاه.

والناس يقولون في أمثالهم السائرة: أعز من الولد ولد الولد. فكيف نحرم الجد والجدة من السعادة والتمتع بما يعتبرونه أعزَّ من الأولاد، وهو من ذرية الإنسان التي تقر عينه بها، والتي يدعو الله لها بالسعادة والتوفيق، كما دعا إبراهيم لذريته حين قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ودعا بها عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

QaradawiBooks.com

وأنا أرجو من أبنائنا وبناتنا في مجتمعاتنا الإسلامية: أن يظلوا متمسكين بقيمهم الأصيلة، وبترابط الأسرة الوثيق، وتوادها العميق، الأسرة بمعناها الإسلامي: الأسرة الموسعة والممتدة. لتشمل الآباء والأمهات، والإخوة والأخوات، بل الأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولادهم، كما قال تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠]، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [البقرة: ٢١٥].

تحذير الإسلام من العقوق:

إنَّ العقوق من أسوأ الرذائل، التي يصاب بها الأفراد، وتبتلى بها المجتمعات؛ لأنَّ حق الأبوين على الإنسان حق معروف بالفطرة، مؤكد بالشرع. فالطفولة البشرية أطول أنواع الطفولة، ويقاسي فيها الأبوان الكثير، حتى يكبر الولد ويستقل بنفسه.

والأم تعاني أكثر من الأب؛ لأنَّها هي تحمله كرهًا، وتضعه كرهًا، وترضعه وتربيه، كما أشار إلى ذلك القرآن ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وفي سورة أخرى يقول: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

QaradawiBooks.com

ولهذا قال بعض علماء الإسلام: إنَّ للأم ثلثي البر، وللأب الثلث.

وقال آخرون: بل لها ثلاثة أرباع البر، وللأب الربع.

وهذا القول يؤيده حديث أبي هريرة في «الصحيحين» فيمن سأل النبي ﷺ: من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أمك**»، قال: ثم من؟ قال: «**أبوك**»[(١)].

وذكر ابن كثير ـ في «تفسيره» عن البزار ـ: أنَّ رجلًا كان يطوف بالبيت الحرام، وهو حامل أمه، فقال للرسول ﷺ: هل أديت حقها؟ قال: «**ولا بزفرة واحدة**»[(٢)] أي: زفرات الطلق وآلام الوضع.

ويحكى: أنَّ رجلًا جاء إلى عمر رضي الله عنه وقال له: «يا أمير المؤمنين، لقد بلغ من بري بأمي أنَّها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، فأنا أعمل لها في الكبر ما كانت تعمل لي في الصغر، فهل أديت حقها؟» قال: «لا. إنَّها كانت تفعل بك ذلك، وهي ترجو لك عمرًا طويلًا، وأنت تفعل ذلك بها، وتنتظر موتها غدًا أو بعد غد!»[(٣)].

ولقد اعتبر رسول الإسلام العقوق من أكبر كبائر الذنوب والخطايا، وأعلن أنَّ العاقَّ لا يدخل الجنة، ولا يجد ريحها.

وقد رأينا الشعراء من قديم يشتكون من عقوق الأبناء، من ذلك ما ينسب إلى أمية ابن أبي الصلت، يخاطب ابنه:

---

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٥٩٧١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٤٨).

(٢) رواه البزار (٤٣٨٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٣٩٥): فيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف من غير كذب، وليث بن أبي سليم مدلس. عن بريدة بن الحصيب الأسلمي.

(٣) البر والصلة لابن الجوزي صـ ٤٠، تحقيق عادل عبد الموجود، علي معوض، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

غَذَوْتُكَ مولــودًا وَعلتُــكَ يافعًا ... تُعَــلُّ بما أُسْــدي إليــك وتَنْهَلُ
إذا ليلةٌ نابَتْكَ بالشَّــكْوِ لم أَبِتْ ... لشَــكْواكَ إلا ســاهرًا أَتَمَلْمَــلُ
كأنّي أنــا المطروقُ دوَنكَ بالذي ... أُصِبْتَ بــه دوني فعينــيَ تَهْملُ
تَخَافُ الرَّدَى نَفْسِي عليكَ وإنّها ... لتَعلــمُ أنَّ الموتَ حتــمٌ مؤجّلُ
فلمــا بَلَغْتَ السِّــنَّ والغايةَ التي ... إليها مَــدَى ما كُنْتُ فيــكَ أُؤَمِّلُ
جَعَلْتَ جزائــي غِلْظــةً وفظاظةً ... كأنَّــكَ أنــتَ المنعِــمُ المتفضِّلُ
فليتــكَ إذ لم تَــرْعَ حَــقَّ أُبُوَّتي ... فَعَلْتَ كما الجارُ المجاوِرُ يفعلُ[1]

إنَّ العقوق للأبوين دناءة في عرف الناس، ورذيلة في نظر الأخلاق، وكبيرة في نظر الدين، ولكنَّه يكون أشد سوءًا ونكرًا حين يكون الأبوان في حال الشيخوخة.

* * *

(١) ديوان أمية بن أبي الصلت صـ١٨٠ وما بعدها، تحقيق سجيع جميل الجبيلي، نشر دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٩٨م.

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

الفهارس العامة

- فهـــرس الآيات القرآنيـــة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـــريفة.
- فهرس الموضوعات.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ ﴾	٢١٥	٢٩
سورة آل عمران		
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	١٠١	٧
سورة النساء		
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾	١	٢٩
﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾	٣٦	٢٣
﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ ﴾	٧٥	٢١
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ ﴾	٩٧ ـ ٩٩	٢١
سورة المائدة		
﴿ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	٥٤	٢٦
سورة الأنفال		
﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾	٧٥	٢٩

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة هود		
﴿قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾	٧٢، ٧٣	١٣
﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	٨٨	٧
سورة يوسف		
﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾	٣٨	٢٨
سورة إبراهيم		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ ۚ﴾	٣٩	١٣
﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾	٤٠	٢٨
سورة النحل		
﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾	٧٠	١٠
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾	٩٠	٢٩
سورة الإسراء		
﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾	٢٣	٢٣
﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾	٢٣، ٢٤	٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦
﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾	٢٦	٢٩
سورة مريم		
﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى﴾	٣، ٤	١٢
﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا﴾	٤٢	٢٥

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾	٥	١٠
سورة الفرقان		
﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾	٧٤	٢٨
سورة الشعراء		
﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	٢١٥	٢٦
سورة القصص		
﴿ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ ﴾	٢٣	١٤
سورة الروم		
﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ﴾	٥٤	٤، ١٢
سورة لقمان		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾	١٤، ١٥	٢٣، ٢٦، ٢٩
سورة غافر		
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ﴾	٦٧	٤، ١٠
سورة الأحقاف		
﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ ﴾	١٥	٢٩

* * *

غير مرخصة للطباعة

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه	٢٠
اللهمَّ إني أعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من البخل	٥، ١١
أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك، قال: ثم من؟ قال: أمك	٣٠
إنَّ أحسن ما غيرتم به الشيب: الحناء والكتم	٢٢
إنَّ من إجلال الله تعالى: إكرامَ ذي الشَّيْبة المسلم	٥، ١٩
إنَّ من أكبر الكبائر أنْ يسبَّ الرجل والديه	٢٤
إنَّ اليهود والنصارى لا يصبغون ـ يعني الشيب ـ فخالفوهم	٢٢
أنا أولى بكل مسلم عن نفسه من ترك مالًا فلورثته	١٦
أنت ومالك لأبيك	١٤، ١٥
ر	
رغم أنفه، ثم رغم أنفه قيل: من يا رسول الله؟	٢٤
غ	
غيِّروا الشيب، ولا تَشَبَّهوا باليهود والنصارى	٢٢

نسخة مجانية

الحديث	رقم الصفحة
ك	
كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمـام راع، وهـو مسؤول عن رعيته	١٦
ل	
لو أقررت الشيخ في بيته لأتيناه تكرمة لأبي بكر	٢٢
ليس منا من لم يُجِلَّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقه	١٨
ليس المؤمن الذي يشبع وجاره جائع إلى جنبه	١٦
م	
ما أكرم شاب شيخًا لسنه، إلا قيض الله له من يكرمه عند سنه	١٩
ما كانت هذه لتقاتل!	٢٠
من شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا يوم القيامة	٢١
من طال عمره، وحسن عمله قال: فأي الناس شر؟ قال: من طال عمره	١٩
ن	
نعم صلي أمك	٢٧
و	
ولا بزفرة واحدة	٣٠

❊ ❊ ❊

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

فهرس الموضوعات

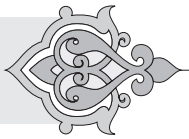

❖ **من الدستور الإلهي للبشرية** **٤**

❖ **من مشكاة النبوة الخاتمة** **٥**

• **مقدمة** ٧

الشيخوخة مرحلة طبيعية ٩

الردُّ إلى أرذل العمر ١٠

الشيخوخة مرحلة ضعف كالطفل ١٢

رعاية الإسلام للشيخوخة ١٣

الكفاية المادية ١٣

واجب المجتمع في الرعاية المادية ١٥

توقير الكبير ١٧

من أحكام الشيخوخة ٢٠

من شاب في الإسلام ٢١

شرعية خضاب الشيب ٢٢

حق الشيخ على أسرته ٢٣

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

بر الوالدين ولو كانا مشركين ٢٦
تحذير الإسلام من العقوق ٢٩
• **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ٣٥
• **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ٣٨
• **فهرس الموضوعات** ٤٠

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

فهرس كتب المجلد

٣٤ ـ فقه الأسرة وقضايا المرأة ٥

٣٥ ـ الحكم الشرعي في ختان الإناث ٧٢٣

٣٦ ـ الاستلحاق والتبني في الشريعة الإسلامية ٧٥٧

٣٧ ـ حقوق الشيوخ والمسنِّين في ضوء الشريعة الإسلامية ٨٠٩

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com